جامعة الانبار
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

العدالة الاجتماعية وقيم المساواة في ميزان الشعر الجاهلي

ا.د.نصرة احميد الزبيدي

لم يكن الشاعر الجاهلي معنيا بالمسميات ,كما كانت قضاياه مهما صعبت بسيطة لاتتعدى الوجود الذي يشعر به,من هنا فان موضوعا كالثورة والتغيير بمفهومهما العام انحسرا في المطالب البسيطة والواضحة ذات السمة المركزية في هرم حاجاته وسلم أهدافه,من هنا فقد ارتبطت قضاياه بهذا التشكيل الحاجاتي فارتبطت الدعوة إلى العدالة الاجتماعية بالدعوة إلى إطعام الجائع ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف وحماية الضعيف,....

وتبرز حركة (الشعراء الصعاليك)بوصفها الأنموذج المعبر عن الثورة الاجتماعية في وجه محن الفقر والنبذ والحرمان ,فقد كان شعورهم الحاد بالفقر والإحساس المرير به وشكواهم من هوان المنزلة الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم وعجزهم عن الأخذ بنصيبهم من الحياة كما هو حال سائر أفراد المجتمع والعجز عن اخذ نصيبهم فيها بسبب ظلم المجتمع,ولم يجدوا أمامهم إلا سبيلين :إما القبول بالذل والمهانة والواقع المرير والبقاء تحت رحمة الأغنياء والعيش على هامش المجتمع أو أن يشقوا طريقهم بالقوة نحو حياة كريمة أبية/الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي–د.يوسف خليف–ط3– دار المعارف/33) وقد كان لتشابه ظروفهم الحياتية اثر في توحيدهم حتى تحولوا إلى جماعة شبه منظمة كانت لها وسائلها في العيش والتي تقوم على القتال والغارة ثم تقاسم الغنائم كما عاشوا في أماكن منزوية بعيدة عن الناس وظهر بينهم مفهوم القائد/الأب بوصفه الشخصية التي تنظم حياتهم ,يقول د.يوسف خليف في وصف عروة بن الورد المعروف بأمير الصعاليك:(وعرف هذا–الزعيم الشعبي–نفسية جماهيره –فكان يقبل منهم أحيانا التواءهم عليه اذا ما تحسنت حالتهم لأنه يعرف أنهم (كما الناس) على حد تعبيره..وهو إلى جانب هذه الزعامة الحكيمة قائد موفق يخرج بجنوده

ويرسم لهم الخطط الدقيقة التي تضمن لهم الفوز)نفسه324-325.وبلا شك فان سعيهم اقترن بالثورة ذات الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية بسبب الفقر أو والعزلة الاجتماعية والنبذ ثانيا,يقول احد الباحثين:(إن الصعلكة هي الفقر وان كانت دلالة الكلمة قد تطورت فأطلقت على الفقر المقترن بنزوع ثوري إن صدق هذا التعبير وباستقراء النصوص اللغوية نعرف إن الصعاليك هم الفقراء لكنهم في هذا الاتجاه الثوري لم يكونوا فقراء فقراء فقط بل كانوا فقراء شجعانا أقوياء أصحاب حس مرهف...لقد ثاروا على النظام المالي فغنموا بالقوة ما قد حرموه)ديوان عروة/34 وعروة يمجد القتال بوصفه طريقته للثورة والتغيير الذي ينشده في حياته مؤكدا عظمة أن يعيش الإنسان ويموت وليس في رقبته حقوق لم يسع إليها,يقول:(الديوان/ 92)

دعيني أطوف في البلاد لعلني أفيد غنى فيه لذي الحق محمل
أليس عظيما أن تلم ملمة وليس علينا في الحقوق معوَّل
فان نحن لم نملك دفاعا بحادث تلم به الأيام,فالموت احمل

ويقول أيضا:نفسه/90

فلو كنت مثلوج الفؤاد إذا بدت بلاد الأعادي لا أمرّ ولا أحلي
رجعت على حرسين,اذْ قال مالك هلكت,وهل يلحى على بغية مثلي
لعل انطلاقي في البلاد وبغيتي وشدي حيازيم المطية بالرحل
سيدفعني, يوما ,إلى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

كما يقول الشنفرى في لاميته المشهورة مؤكدا هذا النزوع إلى الثورة والتصميم عليها :الديوان/63

ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب يعاش به إلا لديّ ومأكل
ولكن نفسا حرة لاتقيم بي على الضيم إلا ريثما أتحول

ونلمح رفضا للظلم الاجتماعي الذي يخرق قانون وحدة القبيلة ومبدأ المساواة الذي يراه الشعراء احد أهم أركان علاقات الأفراد فيما بينهم ومثلت شكوى الشاعر طرفة بن العبد من الظلم

الاجتماعي وفقدان مبدأ العدالة الاجتماعية على الرغم من أن الشاعر يرى انه قد صان قبيلته ودافع عنها في معاركها وذب عن حياضها وعومل بالنبذ حيث يقول:الديوان 36

فلو كان مولاي امرأ هو غيره لفرج كربي أو لأنظرني غدي

ولكن مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر والتسآل أو أنا مفتد

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وتطالعنا أخبار العلاقة المتوترة لقرون طويلة بين العرب والفرس والتي توجت بمعركة ذي قار الشهيرة التي كانت ثورة عربية خالصة في وجه الظلم الفارسي ,وكان سببها المباشر مقتل النعمان بن المنذر (أيام العرب في الجاهلية/27) وقد كان الشعر حاضرا فيها حضورا قويا موثبا تارة ومحرضا أخرى ,من ذلك لتحريض الشاعر لقيط بن يعمر الايادي لقومه على الثورة والحذر من الجيش الفارسي القادم نحوهم ,حيث يقول:ديوانه 45

ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا إذا يقال له أفرج غمة كنعا

ويقول مؤكدا على الثورة والتأهب لها 55:

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا

وخلد الأعشى الشاعر هذه الملحمة الثورية الخالدة في شعره ,فقال متمنيا أن تكون كل العرب شريكة في هذا النصر: (ديوانه112 دار صادر بيروت)1994.

لو أن كل معد كان شاركـــــــــنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف